عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-022-003-009 (DOI)

اللوحة الكتابيـة لمنبر السلطان الظاهر بيبرس بالجامع الأزهر المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار بالجزائر : دراسة أثارية – فنية

The inscription of the pulpit of Sultan al-Zahir Baybars in the Al-Azhar Mosque, preserved in the National Museum of Antiquities in Algeria An archaeological-artistic study"

د. مـراد حـديبـي*
جامعـة عبد الحميد مهري-قسنطينـة2
Mourad.Hadibi@univ-constantine2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/07/01 تاريخ المراجعة: 2023/07/30 تاريخ القبول:2023/11/09

الملخــص:

تعتبر اللوحات الكتابيـة من المصـادر الماديـة المهمـة فـي الأبحـاث التاريخيـة والأثرية، إذ تحتوي على معلومات قيمة تساعد الباحث في دراساته العلمية، نجدها خصوصا في المنشآت المعمارية بمختلف أنواعها تخليدا لذكرى مؤسسها وتبقى شاهدة على منجزاتـه الحضـارية فـي أقـاليم دولتـه، وبدونها تصبح هذه المنشآت هياكل صماء لا نستطيع تقصي من هم مؤسسوها وما هي ظروف تأسيسها وإنشائها، مما يخلق لدى الباحثين جملة من الاحتمالات والترجيحات، خاصة إذا كانت هذه المنجزات والمعالم قد اندثرت ولم يبقى لها أثر، فبهذه النقوش الكتابية الباقية يمكن لعلماء التاريخ والآثار من الوقوف على جوانب عديدة عنها، ولعل اللوحة الخشبية التي نحن بصدد دراستها على قدر كبير من الأهمية، لأنها من جهة تعتبر القطعة الوحيدة المتبقية من منبر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الذي وضعه بجامع الأزهر سنة عام 665ه/1266م، وهي محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة، ومن جهة أخرى تقدم لنا هذه

* **مراد حديبــي أستاذ محاضر بقسم الآثار، جامعة عبد الحميد مهري- قسنطينة2**

اللوحة كتابة أثرية تخلد ذكرى انجاز المنبر المندثر، والسلطان المملوكي الذي أمر بإنجازه، وكذا معرفة العديد من الخصائص الكتابية المتعلقة بنوعية الخط والشعارات والألقاب الشخصية والوظيفية وكذا أسلوب النقش ودرجة تحكم الفنان في جودة الخط والعناصر الزخرفية التي ازدانت بها وغيرها من الخصائص..
الكلمات المفتاحية: كتابة تذكارية؛ منبر؛ الظاهر بيبرس؛ الجامع الأزهر؛ المماليك؛ النقيشة؛ المتحف الوطني

Abstract:

Inscriptions are considered one of the important material sources in historical and archaeological research, as they contain valuable information that helps the researcher in his scientific studies. We find them especially in architectural facilities of various types in memory of their founder and remain a witness to his civilizational achievements in the regions of his country. Without them, these facilities become deaf structures that we cannot Investigating who its founders are and what are the circumstances of its founding and creation, which creates for researchers a number of possibilities and possibilities, especially if these achievements and landmarks have disappeared and no trace remains of them. With these remaining written inscriptions, historians and archaeologists can understand many aspects of them, and perhaps the wooden plaque that We are going to study it with a great deal of importance, because on the one hand it is considered the only remaining piece of the pulpit of Sultan al-Zahir Baybars al-Bunduqdari, which he placed in Al-Azhar Mosque in the year 665 AH/1266 AD, and it is preserved in the National Museum of Ancient Antiquities and Islamic Arts in Algiers, and on the other hand it presents us with this painting. An antique writing that commemorates the completion of the vanished pulpit, and the Mamluk Sultan who ordered its completion, as well as knowledge of many written characteristics related to the quality of calligraphy, slogans, personal and professional titles, as well as the style of engraving, the degree of the artist’s control over the quality of the calligraphy, the decorative elements that were adorned with it, and other characteristics

Keywords : Memorial writing; minbar; Al-Zahir Baybars; Al-Azhar Mosque; Mamluks; inscription; the National Museum

- مقدمة:

يزخـر المتحـف الـوطني العمـومي للآثـار القديمـة والفنـون الإسـلامية بالجزائر العاصمة على عـددا كبيرا من القطع والتحف الأثريـة النـادرة، التـي تبـرز مختلف الحضارات التي تعاقبت على الجزائر منذ فجر التاريخ، إضافة إلى عرضه عينات من الحضارة الفرعونية والإغريقية وتشكيلات تنتمي إلى الحضـارة الإسـلامية لمختلـف الـدول، ولعـل مـن بـين القطـع النـادرة التـي تستوجب وقـوف الزائرين عليها وكذا الباحثين الدارسـين كتابـة أثرية تذكارية لمنبر الجامع الأزهـر، الذي أمر بصناعته السلطان المملوكي الظاهر بيبرس البندقداري قبل سبعة قرون ونصف من الآن

وتكمن أهمية هذه القطعة الأثرية النـادرة في كونها القطعـة الوحيـدة المتبقيـة من منبر الظاهر بيبرس الذي وضعه بجامع الأزهر سنة عام 665ه/1266م، خاصة وأن جل المصادر والمراجع التاريخيـة التـي تناولـت عمليات التجديـد والترميم والتوسعة التي خضع لها الجامع عبر عديد المراحل التاريخية، لم تتطــرق بالحديــث عـن منبـر الجـامع الأزهــر وتاريخـه وأوصــافه إلا فــي مواضع معدودة جدا.

لذلك سنحاول في هـذه الورقة البحثية تحليل الكتابـة التذكارية، بغية الوصـول إلى معرفة خصائصها الكتابية والمعمارية وقصد تسليـط الضـوء علـى فصل من فصول تاريخ منابـر جامع الأزهر.

1-الجامع الأزهـر تأسيسه، دوره وعمارتــه:

1-1-تأسيسـه: تم غزو مصر على يد جوهر الصقلي قائد جيش المعز لـدين الله الفاطمي سنة 359هـ/ 992م بعد الإطاحة بجيش الإخشيديين، حيث اختط مدينـة القـاهرة وأسس بهـا أول جـامع للدولـة الفاطميـة بمصـر والـذي لا يـزال قائما إلى اليوم وهو الجامع الأزهـر

وإذا كان جامع عمرو بن العاص هو أول جامع بنـي بمصـر الإسـلامية فـإن الجـامع الأزهـر هـو رابـع الجوامـع التـي بنيـت بهـا، فمصـر عرفـت قبـل الأزهر ثلاثـة مساجد جامعـة وهـي جامع عمـرو بـن العـاص بالفسطاط سنـة 21هــ/641م، وجـامع العسـكر الـذي بنـاه العباسـيون بمدينــة العسـكر سـنـة 133هـ/750م وجامع أحمد بن طولون في مدينة القطائع سنة 265هـ/879م (عبد الوهاب حسن، 1946: 48)

شرع جوهر الصقلي في بناء الجامع سنة 359هـ/970م وانتهى العمل منه سنة361هـ/972م، وكان بالمسجد نقش بـالخط الكـوفي بـدائرة القبـة التـي

في الرواق الأول وهي على يمين المحراب والمنبر ونصه بعد البسملة "مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة 360ه" (المقريزي تقي الدين، 1998: 213).

وقد اختير له موقعًا في الجنوب الشرقي من المدينة على مقربة من القصر الكبير، وبالتالي يتوسط العاصمة الفاطمية على النحو الذي كان متبعا في بناء المساجد الإسلامية الأولى (ماهر سعاد، 1971: 166)، وكان يطلق على الجامع الأزهر في بداية إنشائه، اسم جامع القاهرة نسبة لعاصمة الفاطميين الجديدة، وأما تسميته بالجامع الأزهر فقد حدثت في وقت متأخر، حيث أشار إليه المؤرخون قريبو العهد ببناء القاهرة كالمسبحي في تاريخ مصر، وابن الطوير في نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، وابن المأمون في نصوص من أخبار مصر باسم جامع القاهرة، وقليلاً ما أشاروا إليه باسم الجامع الأزهر كالمقريزي في صبح الأعشى.

1-2-دوره: يكاد يكون الجامع الأزهر بالقاهرة الجامع الأول في التاريخ الإسلامي الذي لعب أدوارا متعددة دينية وتعليمية وثقافية وسياسية ومعمارية، إذ يبرز دوره الديني في أداء الصلاة والعبادات، ودوره التعليمي في تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ودوره السياسي في مواقفه المشهودة في التصدي لظلم الحكام وتحريك الثورات ضد المحتل الأجنبي، كما لعب دورا ثقافيا وفكريا من المناقشات والمداولات وإلقاء الخطب والدروس، أما دوره المعماري فيبدو واضحا في التطورات المعمارية والفنية في عصور الولاة والسلاطين والملوك والرؤساء الذين تداولوا على حكم مصر(عوف أحمد محمد، 1970: 30).

1-3-تخطيط الأزهر وتطوره المعماري:

كان المسقط الأفقي للجامع الأزهر وقت إنشائه مكون من ثلاث إيوانات حول الصحن، أكبرها الإيوان الشرقي المكون من خمسة أساكيب موازية لجدار القبلة، والإيوانين الشمالي والجنوبي بهما ثلاث أروقة مشرفة على الصحن بأعمدة رخامية، أما الجدار الغربي فلا أروقة به ويتوسطه المدخل الرئيسي (عبد الوهاب حسن، 1946: 49).

كانت مساحته وقت إنشائه تقترب من نصف مساحته الآن التي تبلغ 12 ألف متر مربع، ثم أضيفت له مجموعة من الأروقة والمدارس والمحاريب والمآذن غيرت من معالمه الأصلية (أحمد محمد عوف، 1970:

35)، وأول زيادة له قام بها الخليفة الفاطمي العزيز بالله بن المعز وذلك بأجراء أعمال تكميلية به، كما جدده الحاكم بأمر الله وأوقف عليه عدة أوقاف، أما الآمر بأحكام الله فقد أضاف له محرابا من الخشب تعلوه قبة بها كتابات بالخط الكوفي، وكذلك الخليفة الحافظ لدين الله الذي قام بزيادة مساحة الأروقة وبنى قبة جصية منقوشة بنقوش بارزة (عبد الوهاب حسن، 1946: 50).

وبعد مجيء صلاح الدين الأيوبي أفل نجم الجامع الأزهر، حيث حارب صلاح الدين منذ اللحظة الأولى التي استقل فيها بحكم مصر سنة 567ه/1171م المذهب الشيعي، وعمل جاهدا على مؤازرة المذهب السني، فأبطل الخطبة من الجامع الأزهر عملا بالمذهب الشافعي الذي لا يجيز تعدد الجمعة في بلد واحد واكتفى بإقامتها في جامع الحاكم، وظل الأزهر مهملا مدة مائة عام تقريبا، إلى أن أعيدت الخطبة إليه في أيام السلطان الظاهر بيبرس، لهذا لم يعن بالجامع من الناحية المعمارية ولم تنله يد الإصلاح والتعمير في العصر الأيوبي (عنان محمد بن عبد الله، 1942: 114).

أما في العصر المملوكي فقد نال الأزهر العناية والاهتمام من السلاطين المماليك، فأعاد أمراء وملوك هذا العصر الخطبة إلى الجامع وإقامة الصلاة فيه، ثم اهتموا بعمارته وتجديده كما أنشأوا به الكثير من الإضافات والزيادات منها قيام السلطان الظاهر بيبرس بتجديد الأجزاء التي تصدعت منه، وضم ما اغتصبه الأهالي من ساحته في الفترة الأيوبية (Van Berchem M, 1894: 189)، كما قام بعمل منبر للجامع لم يبق منه إلا لوحته التذكارية – محل الدراسة-والمحفوظة بالمتحف الوطني العمومي للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة (أنظر التعليق رقم 1)، وفي عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون أنشأ الأمير علاء الدين طيبرس أمير الجيوش المدرسة الطيبرسية سنة 709ه/1309م وألحقها بالجامع الأزهر، وأنشأ الأمير علاء الدين آقبغا من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة 740ه/1340م المدرسة الأقبغاوية على يسار باب الحلاقين (الباب الرئيسي للجامع) وبها محراب بديع، ومنارة رشيقة، كما أقام الأمير جوهر القنقبائي خازندار في عهد السلطان الأشرف سيف الدين برسباي المدرسة الجوهرية في الطرف الشرقي من الجامع (محمود أبو العيون، 1949: 08)، وتضم أربعة إيوانات أكبرها الإيوان الشرقي، وبه محراب دقيق الصنع وتعلو المدرسة قبة منقوشة، وقام السلطان المملوكي قايتباي المحمودي في عهد المماليك البرجية (الشراكسة) بهدم الباب بالجهة

الشمالية الغربية للجامع، وأقام على يمينه سنة 873ه/1468م مئذنة رشيقة من أجمل مآذن القاهرة، ثم قام السلطان المملوكي قانصوه الغوري ببناء المئذنة ذات الرأسين وهي أعلى مآذن الأزهر، وطرازا فريدا من المآذن بالعمارة المملوكية ككل (أبو العيون محمود، 1949: 09).

وقد شهد عهد العثمانيين التفاتاً كبيراً نحو الاهتمام بالجامع الأزهر والعناية به، ومن صور ذلك ما دأب عليه ولاتُهم من إصلاحه وتجديد عمارته، كما حدث في سنوات 1004هـ/1595م على يد الوالي السيد محمد باشا، وسنة 1014هـ/1605م على يد الوزير حسن باشا الذي بنى رواقًا للحنفية، وسنة 1148هـ/1735م على يد الأمير عثمان كتخدا الذي عمَّر رواق الأتراك ورواق السليمانية، كما زاد في رواق الشوام، وفي سنة 1167هـ/1753م قام الأمير عبد الرحمن كتخدا بأعظم عمارةٍ تجديدية أُجريت بالأزهر منذ إنشائه، حيث أضاف عدة أقسام مهمة إلى بنيانه وتخطيطه، وزاد في مساحة الجامع زيادة كبيرة، وجدَّد واجهة المدرسة الطيبرسية وأنشأ الباب الغربي الكبير، وهو الباب الرئيسي للأزهر المعروف بباب الحلاقين، كما ألحق بالجامع عدة أروقة، وبنى ثلاثَ مآذن جديدة، فأصبح به ست مآذن (أنظر التعليق رقم 2) (علي باشا مبارك، 1889: 33)، وفي عهد الخديوي عباس حلمي الثاني جددت المدرسة الطيبرسية سنة 1315ه/1897م وأنشأ رواقًا جديدًا يسمي بالرواق العباسي نسبة إليه وهو أكبر الأروقة كما جدد رخامها وقام بتذهيب سقوفها (الميهي شيماء وآخرون، 2001: 57)

2-تاريخ منابر جامع الأزهر:

اتفقت المصادر العديدة على أن الجامع الأزهر تغير بتغير العصور، حيث كان كل حاكم

يتسابق على عمارته، لكن ما الذي حدث من تغير على منبر الجامع الأزهر؟ وكم من مرة تغير فيها؟ وإلى أي عهد يعود تاريخ المنبر الحالي؟

في البداية يذهب الكثير من المؤرخين إلى اعتبار أن كلمة منبر حبشية أصلها "ونبر" أي كرسي قلبت الواو فيها عند العرب ميما، وقال البعض الآخر إن كلمة منبر تطلق عند الأحباش على أي مقعد كان، وانتقلت الكلمة منهم إلى العرب بشكلها الأصلي، ولا غرابة في ذلك فقد كان بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم حبشيا، وكانت زوجته أم سلمة ممن هاجرن إلى الحبشة قبل الهجرة، وأن أهل مكة كانت لهم صلاة تجارية كبيرة مع الحبشة

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

عبر مينائها مصوع (Sauvaget, J, 1947: 141)، بذلك عرفت المنابر الخشبية في المساجد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عمل له منبر من ثلاث درجات في مسجده بالمدينة (عاصم محمد رزق، 2000، 302)

كما تذكر العديد من المراجع التاريخية أن أول منبر للجامع الأزهر أمر بصنعه القائد جوهر الصقلي بأوامر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة 359ه/970م، وظل هذا المنبر يخدم فترة طويلة حتى نهاية الدولة الفاطمية وصدر الدولة الأيوبية، وبعد العصر الفاطمي وسيطرة الأيوبيين على مصر أغلق الجامع الأزهر، وقيل إن المنبر نقل فيما بعد إلى جامع الحاكم بأمر الله وذلك رغبة من صلاح الدين الذي كان ضد الفاطميين وذلك للقضاء على المذهب الشيعي (المقريزي تقي الدين، 1998: 275).

بعد انتهاء عصر الأيوبيين وبداية عصر المماليك، وفى عهد الظاهر بيبرس تبرع بالمال وأصلح سقوف الجامع الازهر وبلاطه، وعمل له منبرا جديدا قبل خمسة أيام من إعادة افتتاحه، ثم فرشه واحتفل بإقامة صلاة الجمعة فيه يوم الجمعة 18 ربيع الاول سنة 665ه، نوفمبر 1266م، أي بعد 100 عام من عدم إقامة صلاة الجمعة به (القلقشندي، 1922: 364)، وقد فقد أيضا المنبر ونقلت لوحته التذكارية الباقية منه واستقرت في متحف الجزائر.

وفي العهد العثماني، وتحديدا في عهد عبد الرحمن كتخدا حدثت أكبر عمارة في تاريخ الأزهر فهو واحدا من أعظم الراعين للحركة المعمارية خلال العصر العثماني، وربما كان الأنشط في تاريخ القاهرة، حيث أنشأ الأمير عبد الرحمن كتخذا للجامع محرابا ومنبرا جديدين عام 1167ه/1754م وهو المنبر الموجود حاليا بالجامع الازهر اي ان عمره نحو 273 عاما (عبد الوهاب حسن، 1946: 59).

عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

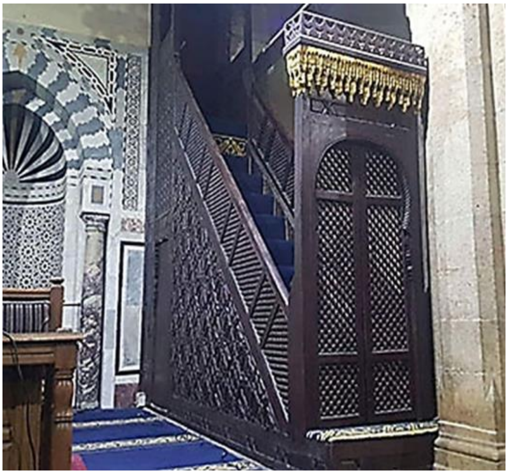

الصـورة رقـم 01: منـبر ومحـراب الجامع الأزهـر الحاليين الذين قام بإنشائهما الأميـر العثمانـي عبد الرحمن كتخـدا سنة 1167هـ/1753م
المصدر: https://www.youm7.com/story/2017/12/25/

1-2-كتـابــة اللوحـة المؤرخــة لمنبـر بيبـرس بالجامـع الأزهــر:

هي عبارة عن لوحة مؤطـرة على ثلاثة سطور من الكتابة بخط النسخ المملوكي ونصها:

س1: بسم الله الـرحمن الـرحيم مما أمـر بعمـل هـذا المنبـر المبـارك لجامع الأزهر مولانـا السلطـان الملـك الظاهــ[ـر]

س2: المجاهـد المرابـط المؤيـد المنصـور ركـن الدنيـا والديـن أبـي الفتـح بيبـرس الصـالحي قسيم أميـر المؤمـ[نيـن] بالديـا[ر] المصـ[ريـة]

س3: أعــز الله أنصــاره بتاريـخ الثالــث عشـر من ربيـع الأول سنـة خمـس وستيــن وستمائـة من الهجـرة النبـ[ويـة]

2-2-الخصائـص الفنيـة للكتابــة:

حسـب أرشيـف المتحـف الـوطني العمـومي للأثــار القديمــة والفنـون الإسـلامية بــالجزائر فــإن القطعــة كانــت ضــمن مجموعــة لوســيان شيفـر(Lucien Scheffer) (Van Berchem M, 1894: 190) وقـد تـم شـراؤهـا عـن جيسـلين Geslin فـي 01 جـانفي 1926م بسعـر 100 فرنك فرنسي (أنظر التعليق رقم 3).

عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

هذه الكتابة التذكارية نفذت على لوحة خشبية من خشب الأرز الصلب، كانت مثبتة على جسم المنبر الذي قام بإنشائه الملك المملوكي الظاهر بيبرس للجامع الأزهر

اللوحة الخشبية مستطيلة الشكل يبلغ ارتفاعها 25 سم وعرضها 93 سم أما سمكها فهو 02 سم

الصـورة رقم 02: اللوحة الخشبية المؤرخة لمنبر الظاهر بيبرس بالجامع الأزهـر المحفوظـة بمتحف الجزائر للأثار القديمة والفنون الإسلامية

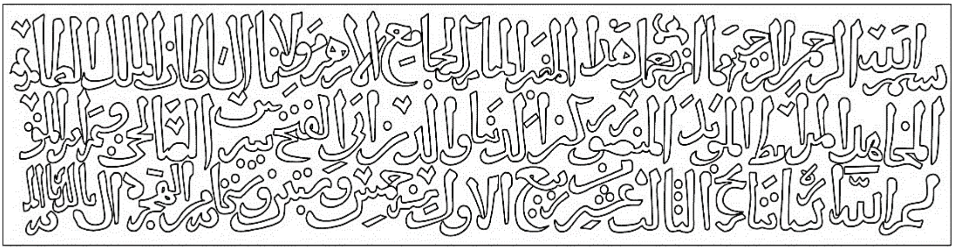

الشكل رقم 01: تفريغ اللوحـة الكتابية (عمل الباحث)

تتكون الكتابة من ثلاثة أسطـر محصورة داخل إطار بارز في مستوى بروز الحروف تقريبا نفذت بتقنية الحفر البارز على أرضية غائـرة

وما يمكن ملاحظتـه على اللوحـة هـي حالـة الحفظ الجيدة مع وجود بعض التآكلات في أطراف اللوحة، وبعض الحـروف المطموسـة خاصـة في نهايـة السـطر الثالـث فـي كلمـة النبويـة، كمـا نجـد بعـض الكلمـات مبتـورة الحروف، ربما بسبب ضيق المساحة كون أن اللوحة هيئت قبل توزيع النص

عليها، فنجد كلمة المؤمنين في نهاية السطر الثاني مبتورة من الأربع حروف الأخيرة (منين).

كما نلاحظ أن الصانـع أكمل عبارة بالديار المصرية فـي نهايـة السطر الثالث رغم أنها مكملة لما ورد في نهاية السطر الثـاني (قسيم أمير المؤمنين بالديار المصرية)، وبالتالي من المفروض تنقش في بدايـة السطر ولـيس فـي نهايتـه كمـا أنهـا مبتـورة الحـروف، فكلمـة الديـار بـلا حـرف الـراء وكلمـة المصرية مبتورة الحروف الثلاثة الأخيرة (ريـة).

ورغم ذلك جاءت باقي الحروف التـي تتكون منهـا الكتابـة جميلـة جدا ومتقنة التركيب مع الدقة الكبيرة في توزيعها، ونلاحظ فيها خصوصـا العنايـة التي بذلها الفنان في حفر الميم الوسطى والهاء والراء والسين والكاف في كلمة المبارك، والشكل الذي أعطاه لبعض الكلمات وكذا نهايات الحروف.

ضـف إلـى ذلـك محاولـة إضـفاء الطـابع الجمـالي علـى الكتابـة بمـلء الفراغات بـأدوات التشكيل وكذا بعض الزخـارف النباتيـة ممثلـة فـي مـراوح وأنصاف المراوح النخيلية، مثلما هو في السطر الأول فوق كلمة أمـر بعمل، وكذا في السطر الثاني فوق حرف السين من كلمة بيبــرس

3-2-تحليـل نــص للكتابــة:

اللوحة التي بين أيدينا تحمـل على الاهتمـام من عدة أوجـه لعلنـا نبـرز أهمـها:

أن الكتابـة تخلد ذكرى صناعة منبـر الظـاهر بيبرس للجـامع الأزهـر، والتـي تـؤرخ بسنـة 665هـ/1366م اي العهد المملـوكي، فـي فتـرة عرفـت تطوّرا كبيرا في الأساليب الفنية الزخرفية خاصة خـلال القرن الرابـع عشـر، ما انعكس علـى الأعمـال الخطوطيـة، حيث بـرزت رشـاقة الحـروف وتنـاسق أجزاءهـا وتـزيين سـيقانها ورؤوسـها ومـداتها وأقواسـها بـالفروع النباتيـة والأزهار، كما تم زخرفة أرضياتها بتكوينات زخرفية متنوعة وجميلة.

انتشـرت نمـاذج عديـدة مـن هـذا الخـط الـذي عـرف باسـم خـط الثلـث المملـوكي التذكاري لاستعماله فـي الكتابـات التذكاريـة فـي تلـك الفتـرة ومنهـا النقـوش الموجـودة فـي مسجد الظـاهر بيبـرس بالقـاهرة التـي شـيده سـنة 667ه/1269م، ومسـجد السـلطان الناصـر حسـن سـنة 764هـ/1363م، ومجموعــة السـلطان برقـوق سـنة 788هـ/1386م، ومجموعـة السـلطان الأشرف الغوري سنة 910ه/1504م، وغيرها من التكايا والخانقاوات فـي مصر وسورية تحديدا.

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

- كلمـة المنبـر المبـارك فـي النقيشـة دلالـة علـى أهميـة هـذا العنصـر المعماري في العمارة الدينية المملوكية والإسلامية ككل فهو أحد العناصر الرئيسية بالمسجد، حيث يقف عليه الخطيب لإلقاء الخطبة أيام الجمع، ويوضع المنبر عادة بجوار المحراب من الجهة اليمنى

- على الرغم من خلو اللوحة الكتابية من اسم صانع المنبر على غرار بعض منابر الفترة المملوكية، إلا أنها تضمنت اسم من أمر بصناعته وهو السلطان المملوكي الظاهر بيبرس مقرونا بالعديد من الألقاب والأسماء العامة والخاصة سنعود إليها بعد تقديم فكرة وجيزة عن شخصية الظاهر بيبرس:

ولد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عام620ه/ 1223م في قبيلة القفجاق التركية على شواطئ البحر الأسود الشماليّة (ابن تغرى بردي، 1922: 762)، أسر من قبل المغول ثم بيع كعبد، وانتقل لخدمة الملك الصالح نجم الدين أيّوب الذي أعتقه، وجعله من مماليكه وعينه قائداً لفرقة الحرس الشخصي للسلطان ومنحه لقب الإمارة فصار يلقب بالأمير (المقريزي تقي الدين، 1973: 520).

كما قاد بيبرس الجيش الأيّوبي في معركة المنصورة عام 1250م أثناء حملة لويس التاسع على مصر وانتصر عليه، كما شارك في قوات السلطان سيف الدين قطز في معركة عين جالوت شمال فلسطين سنة658ه/1260م والتي هزم فيها المغول (أبو مصطفى محمد إلياس، 2016: 54).

بعد انتصار قطز على المغول في معركة عين جالوت اغتيل في طريق عودته منتصراً إلى مصر، فتمت مبايعة بيبرس ونصب سلطاناً على مصر رغم اتهامه بالضلوع في اغتيال قطز (المقريزي تقي الدين، 1973: 520).

يعتبر بيبرس المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية فقد تولى السلطنة في 19ذي القعدة سنة 658ه/ 1260م، ولقب نفسه بالملك القاهر ثم بالظاهر كما لقب بالبندقداري نسبة إلى سيده علاء الدين البندقداري (شبارو عصام محمد، 1994: 16).

شهد عهده نهضة معمارية وتعليمية كبيرة، حيث عمل على إنشاء العديد من المساجد والمدارس في مصر والشام والحجاز، ومنها مسجد الظاهر بيبرس في القاهرة سنة 665ه/1266م والذي مازال قائماً إلى اليوم، ونسبت المنطقة حوله له وسميت باسم حي الظاهر، وكذا المدرسة الظاهرية في دمشق التي بنيت سنة 676ه/1277م، كما جدد المسجد النبوي

عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

بمكة ورمم قبة الصخرة والمسجد الأقصى وجدد بناء مسجد الخليل عليه السلام (عبده قاسم، 2001: 219).

عمل بيبرس كذلك على إنشاء الجسور والقناطر والأسوار، وحفر الترع والخلجان، وأنشأ مقياسا للنيل وقام بأعمال أخرى كثيرة مثل تنظيم البريد فخصص له الخيل، وبنى كثيرا من العمائر (ابن تغرى بردى، 1922: 172).

رجع بيبرس إلى الشام في أواخر سنة 675ه/1277م وتوفي بها، ودفن في المكتبة الظاهرية بدمشق بعد حكم دام 17 سنة، تولى من بعده أكبر أولاده ناصر الدين الحكم، إلا أن أولاده لم يدم لهم الحكم طويلاً، ثم تولى الحكم المنصور قلاوون (الصفدي الحسن بن أبي محمد، 2003: 157)

استعمل النقاش مجموعة من الألقاب والأسماء الخاصة بالسلطان الظاهر بيبرس الآمر بعمل هذا المنبر وهي متنوعة جمعت بين بين الألقاب العامة والخاصة، أي الوظيفية والشخصية، فالمعروف عن المماليك عموما أنهم كانوا يتخذون الألقاب العامة التي عرفت في عصر أسلافهم كالسلطان والملك وأمير المؤمنين والإمام وغيرهما من ألقاب الكناية المكانية، كما كانوا يتلقبون بالألقاب والنعوت الخاصة التي كانت جلها معروفة عند من سبقهم من الخلفاء كالمستنصر والمتوكل وغيرهما (الباشا حسن، 1989: 89).

أول لقب استعمل في النقيشة هو لقب السلطان وهو نعتا فخريا ظهر لأول مرة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد إذ أطلقه على وزيره خالد بن برمك تعظيما له، ثم اختفى هذا اللقب فترة من الزمن ليظهر من جديد في عصر دولة بني بويه (القلقشندي، 1922: 447)، ثم ذاع استعماله بعد ذلك عند الأيوبيين فتلقب به صلاح الدين الأيوبي ومن تولى بعده (القلقشندي، 1922: 447)، ومنها انتقل إلى المماليك وأصبح اللقب الأول لرأس الدولة المملوكية وحاكمها وأكثر انتشارا وشيوعا من ذي قبل (حسن الباشا، 1989: 89)، ويعتبر الظاهر بيبرس أول من أطلق عليه لقب سلطان الإسلام والمسلمين من المماليك (Van Berchem M, 1894: 299).

والملاحظ على هذا اللقب في النقيشة هو وجوده ضمن الترتيب اللقبي المعروف لدى جل سلاطين المماليك ما صورته مولانا السلطان الملك الفلاني، ومن المماليك انتقل إلى العثمانيين فأصبح يضرب على السكة وينفذ كنقوش على العمائر وهذا ما تثبته النقوش الموجودة بجامع بروسة الذي بناه

أرخان بن عثمان سنة 1343م والذي يعتبر أقدم نقش للقب السلطان، حيث نجد أنه يلقب نفسه بالسلطان بن سلطان الغزاة (بركات مصطفى، د.ت: 35)

أما لقب الملك فكان يلقب به الزعيم الأعظم ممن لم يطلق عليه اسم الخلافة، وكلا اللقبان قد ظهرا وشاعا في البلاد الإسلامية عندما ضعفت الدولة وغلب الخلفاء العباسيون على أمورهم وصارت شؤون الدولة بأيدي وزرائهم من الفرس والترك (بركات مصطفى، د.ت: 35)

لقب الظاهر الوارد في النقيشة اتخذه بيبرس لنفسه عندما تولى العرش (تقي الدين المقريزي، 1998: 301)، ففي بداية الأمر كان اول لقب اختاره بيبرس لنفسه هو القاهر، ولكن أشير عليه بتغيير هذا اللقب لأنه ما تلقب به أحد وأفلح، فاتخذ لنفسه لقبا آخر وهو لقب الظاهر (ابن إياس، 1983: 98).

أما ألقاب المجاهد، المرابط، المؤيد، المنصور، وأبي الفتح، التي وردت في السطر الثاني من النقيشة فهي القاب عرف بها السلطان بيبرس في العديد من الكتابات والنقوش، والتي ارتبطت به بسبب انتصاراتِهِ العسكرية الكبيرة حين فتح أبواب الجهاد واسعا ضد المغول والصليبيين من أجل تحرير الأراضي الإسلامية المحتلة (غانم عماد الدين، 2011: 125).

كما ورد في النقيشة لفظ بيبرس الصالحي نسبة إلى سيده الصالح نجم الدين أيوب، إذ كان من مماليكه قبل أن يعتقه ويمنحه الإمارة، وقد عرف جميع مماليك الملك نجم الدين أيوب باسم المماليك الصالحية النجمية نسبة إليه (ابن عبد الظاهر محي الدين، د.ت: 36)

لقب مالك الدنيا والدين لقب أطلقه القاضي والكاتب محي الدين بن عبد الظاهر على السلطان الملك الظاهر بيبرس بمناسبة التجاء جماعة من التتار إليه، ولهذا اللقب صلة بادعاء أحقية السيطرة الكاملة على الحكم التي كانت معروفة لدى السلاطين السلاجقة (ابن عبد الظاهر محي الدين، 1976: 180)

أما لقب أمير المؤمنين فيعتبر ثاني الألقاب ظهورا في التاريخ الإسلامي بعد لقب الخليفة، وأول من لقب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومنذ ذلك العهد أصبح اللقب يطلق على الخلفاء ومدعي الخلافة في كل أنحاء العالم الإسلامي حتى العهد العثماني (محمد السيد هدى، 2008: 58)

وقد جاء في النقيشة الخشبية مقترنا بكلمة قسيم أي قسيم أمير المؤمنين، والذي صار ينعت به كل من خلف بيبرس من السلاطين المماليك،

وربما يعتبر هذا اللقب أعلى الألقاب المضافة إلى لقب أمير المؤمنين (الباشا حسن، 1989: 89).

وأول من استخدم لقب قسيم أمير المؤمنين في التاريخ الإسلامي هم الولاة البويهيين في إيران والعراق (334، 447ه/946، 1055م) للخليفة العباسي في بغداد لتقاسمهم معه السلطة، فكان هذا اللقب في أساسه يوضح علاقة الملقب به مع الخليفة، فبعد أن كان الوالي يلقب في أول الأمر بمولى أمير المؤمنين صار في عصر بني بويه يلقب بقسيم أمير المؤمنين، أي انهم يشاركون السلطان في الحكم، وإن كانوا في الواقع هم أصحاب النفوذ الفعلي في الدولة (الباشا حسن، 1989: 89).

نفس الأمر هنا ينطبق على السلطان الظاهر بيبرس الذي كان قسيم أمير المؤمنين العباسي في الديار المصرية، بالنظر إلى المعطيات التاريخية التي تذكر أنه هو من أحيا الخلافة العباسية في القاهرة كتعويض للخلافة التي انتهت في بغداد بعد سقوطها على يد هولاكو المغولي سنة 656ه/1258م، ولإضفاء الشرعية كذلك على الحكم المملوكي، حيث اقتضت النظم في العصر الأيوبي ان الخليفة العباسي هو من يقر سلطنة الحاكم حتى يبقى حكمه شرعي، فالخلافة العباسية في مصر كانت هي الخلافة الوحيدة الموجودة بعد ما سقطت الخلافة في بغداد (علي باشا مبارك، 1889: 27).

ويضاف إلى هذه الألقاب حرص المماليك انطلاقا من السلطان بيبرس على تعداد البلدان أو الأقاليم التابعة لسلطانهم، مثلما ورد في النقيشة بعبارة الديار المصرية وفي مواضع أخرى الممالك الشامية، أو الديار الحجازية وغيرها.

في السطر الأخير من الكتابة دعاء بالعزة لأنصار السلطان بيبرس، وذكر تاريخ الإنجاز بالحروف دون الأرقام وبالتقويم الهجري مع ذكر اليوم والشهر والسنة.

- خاتمة:

أن للوحة الكتابية التي بين أيدينا قيمة تاريخية وأثرية كبيرة باعتبارها الشاهد الوحيد المتبقي عن المنبر الذي أمر بصناعته للجامع الأزهر، السلطان الظاهر بيبرس والذي تعكس بحق ذلك الكم الهائل والمعقد من الألقاب والنعوت التي خص بها الملك الظاهر، فكما هو معلوم أن الأسماء والألقاب وسيلة للتأريخ شأنها في ذلك شأن التواريخ، فإن غاب التاريخ على

النقوش الكتابية يمكننا تأريخها من خلالها، من حيث مادة الصنع والأسلوب الفني ونوعية الخط وكذا طبيعة الشعارات والألقاب المدونة عليها، واللوحة جمعت بين كل هذه الوسائل المعتمدة في تأريخ القطع الأثرية والتاريخية، لذا وجب الحفاظ عليها وتوفير البيئة المناسبة لحمايتها من التآكل والاندثار..

-التعليقات:

-التعليق رقم 01: وهو من أقدم متاحف الجزائر وإفريقيا، ويتميز بطرازه المعماري الأندلسي المغربي الجميل، يقع وسط حديقة الحرية بشارع كريم بلقاسم بالجزائر العاصمة، عرف تسميات وتنقلات عديدة منذ إنشائه عام 1838م، فسمي أولا بمتحف الآثار الجزائرية، ثم المتحف الجزائري للآثار القديمة والفنون الإسلامية، ثم متحف ستيفان غزال نسبة لأحد أشهر علماء الآثار الفرنسيين، كما سمي بالمتحف القومي للآثار، وأخيرا المتحف الوطني العمومي للآثار القديمة والفنون الإسلامية وهو يقدم نظرة عامة وصورة شاملة لمختلف الحضارات التي تعاقبت على الجزائر منذ فجر التاريخ إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، إضافة إلى عرضه عينات من الحضارة الفرعونية والإغريقية وتشكيلات تنتمي إلى الحضارة الإسلامية، وهو ينقسم إلى قسمين، الأول للآثار القديمة، والثاني للإسلامية.

-التعليق رقم 02: تجدر الإشارة إلى أن مصلحة الآثار هدمت إحدى مآذن كتخدا إرضاءً لرغبة الخديوي عباس في بناء الرواق العباسي، ولم يبق من هذه المآذن الست سوى أربعة هي مئذنة قايتباي والغوري ومئذنتا كتخدا.

-التعليق رقم 03: مسجلة في السجل العام لممتلكات المتحف الوطني العمومي للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة تحت رقم التسجيل 1021 وبرقم جرد.II.B.16.

- قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو العيون محمود، (1949)، الجامع الأزهر، نبذة في تاريخه، القاهرة، مطبعة الأزهر.
2. أبو مصطفى محمد الياس، (2016)، دور الخطر المغولي في توحيد الجبهة الداخلية للمماليك، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
3. ابن اياس، (1983)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ج1، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
4. المقريزي تقي الدين (1973)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، القاهرة، مصر، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

5. الباشا حسن، (1989)، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، مصر، الدار الفنية للنشر والتوزيع.
6. الميهي شيماء وآخرون (2021)، المدرسة والرواق العباسي بالجامع الأزهر بالقاهرة، مجلة عصور، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة وهران، مج20، ع1، ص ص 57-85
7. الصفدي الحسن بن أبي محمد، (2003) نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تحقيق عبر عبد السلام تدمري، ط1، صيدا، لبنان، المكتبة العصرية.
8. المقريزي تقي الدين، (1998)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، القاهرة، مصر، مكتبة مدبولي.
9. القلقشندي، (1922)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية.
10. بردي ابن تغرى، (1992)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، ط1، ج2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
11. بركات مصطفى، (د.ت)، الألقاب والوظائف العثمانية منذ الفتح العثماني لمصر حتى نهاية الخلافة العثمانية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
12. رزق عاصم محمد، (2000)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة، مصر، مكتبة مدبولي.
13. شبارو عصام محمد، (1994)، السلاطين في المشرق العربي، معالم دورهم السياسي والحضاري (المماليك)، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
14. عنان محمد عبد الله، (1942)، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، ط1، القاهرة، مصر، مطبعة لجنة التأليف والنشر.
15. عوف أحمد محمد، (1970) الأزهر في ألف عام، القاهرة، مصر، مجمع البحوث العلمية.
16. عبد الوهاب حسن، (1946)، تاريخ المساجد الأثرية، ج1، القاهرة، مصر، مطبعة دار الكتب المصرية.
17. عبده قاسم، (2001)، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مصر، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
18. غانم عماد الدين، (2011)، الملك الظاهر بيبرس، دمشق، سوريا، الهيئة السورية العامة للكتاب، منشورات الطفل، وزارة الثقافة السورية.
19. فكري أحمد، (1965)، مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، مصر، دار المعارف.

20.ماهر سعاد، (1971)، مساجد مصر وأوليائها الصالحين، ج1، إشراف محمد توفيق عويضة، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
21.مبارك علي باشا، (1889) الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط1، ج1، القاهرة، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية.
22.محي الدين بن عبد الظاهر، (1976) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ط1، الرياض، السعودية، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر.
23.محيي الدين بن عبد الظاهر، (د.ت) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، مراجعة محمد علي النجار، ط1، القاهرة، مصر، الشركة العربية للطباعة والنشر.
24.هدى محمدي السيد عبد الفتاح، (2008)، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، ط1، مصر، بلنسية للنشر والتوزيع.

25. Marçais (G), (1906), Le musée Stéphane Gsell, musée des antiquités et d’art musulman d’Alger, Alger, presses de l’imprimerie officielle.
26. Sauvaget,(J), (1947), La Mosque omeyyade de médine, Paris, Publication de l ’Institute français de Damas.
27. Van Berchem(M), (1894), Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, première partie Egypt, Tome II, ler fasc, Paris, Mémoires de l’Institute Francis d’Archéologie Orientale du Cairo, direction Pierre Jouguet.